فتح مكّة المكرمة

<"xml encoding="UTF-8?>

فتح مكّة المكرمة

شريف يحيى الكناني

استمرَّت نتائج صُلحِ الحُدَيْبِية الذي عُقِد بين النبي (صلى الله عليه وآله) وقريش في سنة (6 هـ) تتفاعل لصالح النبيّ ، فانضمَّت قبيلة خزاعة إلى معسكر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وانضمَّت قبيلة كنانة إلى معسكر قريش ، فأصبح هناك حِلفان خلال فترة الصُلْح والسلام .

وشاء الله سبحانه أن تتهيّأ أسباب النصر الكبير والفتح المبين ، فينشُب الصراع بين قبيلَتَي كنانة وخزاعة على أثر هجوم الأولى على الثانية ، فانضمَّت قريش إلى كنانة ، فشعر أبو سفيان بخطورة الموقف بعد نصره لكنانة ، فاضطرَّ إلى الذهاب للنبي (صلى الله عليه وآله) ليكلِّمه ، فلم يرد النبي (صلى الله عليه وآله) عليه شيئاً .

ثمّ حاول أن يستنجد ببعض الصحابة وبأهل بيت النبيّ (صلى الله عليه وآله) فلم يشفعوا له ، وعاد إلى مكّة يجر أذيال الهزيمة ، وأخذ الرسول (صلى الله عليه وآله) وأصحابه يتجهَّزون لقتال كُفَّار مكّة ، حتّى بلغ تعدادهم عشرة آلاف مقاتل ، وكان (صلَّى الله عليه وآله) يخطِّط لِئَلاَّ يقَع القِتال بينه وبين قريش في داخل مكّة ، لأنَّها حرم الله الآمن .

وفي الثاني من شهر رمضان سنة (8 هـ) توجَّه النبي (صلى الله عليه وآله) وجيشه نحو مكّة ، وقاموا بتطويقها ، وإشعال النيران في الصحراء على مقربة منها ، ممّا أثار الرعب في نفوس الطغاة ، وعلى رأسهم أبو سفيان .

وأخيراً استسلم أبو سفيان للنبي (صلى الله عليه وآله) ، ونطق بالشهادتين خوفاً ورعباً ، وأمر النبي (صلى الله عليه وآله) العباس بن عبد المطلب أن يقف بأبي سفيان حيث تمرُّ جنود الله ، ليرى بِعَينه عظمة الإسلام ، فيقول أبو سفيان للعباس : لقد أصبح مُلْك ابن أخيك عظيماً ، فيردُّ عليه العباس : وَيْحك ، إنّها النبوَّة .

وقبل أن يدخل مكّة اصدر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بياناً جاء فيه : (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ، ومن أغلق بابه وكفّ يده فهو آمن) ، وكان (صلى الله عليه وآله) حريصاً على أن لا تراق قطرة دم واحدة في ذلك اليوم .

ودخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) مكّة المكرمة في العشرين من شهر رمضان ، فاتحاً منتصراً من غير قتال ، ولا سفك دماء ، ووقف على باب الكعبة وقال : (لا اله إلاّ الله ، وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كلّ مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتينّ إلاّ سدانة الكعبة، وسقاية الحاج) .

اذهبوا فانتم الطلقاء :

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (يا معشر قريش ماذا تقولون ؟ وماذا تظنّون أنّي فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أقول لكم كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، اذهبوا فانتم الطلقاء) .

ثمّ بادر إلى تكسير الأصنام يساعده في ذلك الإمام علي (عليه السلام) ، وعندما لم يبق سوى صنم خزاعة فوق الكعبة أمر الرسول (صلى الله عليه وآله) علياً بكسره ، وقد حمله (صلى الله عليه وآله) حتّى تمكّن من الصعود فوق الكعبة ، فرمى بالصنم إلى الأرض فكسره .

وبعد صلاة الظهر من ذلك اليوم جرت بيعة قريش لرسول الله (صلى الله عليه وآله) على الإسلام والطاعة رجالاً ونساءً ، وبذلك سقط أقوى حصون المشركين وأكثرها غطرسة وتحجراً في وجه الأرض ، وتحقّق بذلك أعظم نصر للمسلمين، ولرسالة الإسلام الكريمة ، حيث انضمت مكّة إلى دار الإسلام .